حَضَارَة

نُــزَغْــرِدُ لِــلأهِلَّــةِ فِي ابْتِسَــامٍ
وَفِي الفَـمِ مِن تَبَسُّمِهَــا ابْتِسَــامُ !
وَمِـلْءُ النَّفْسِ أحْــــلاَمٌ عِــــذَابٌ
وَآمَــــالٌ تَجِيـشُ بِهَــــا عِظَــــامُ
تَغِيـبُ أهِلَّــــةٌ وَتُطِـلُّ أخْــــرَى
وَأعْيَــــادٌ تُــــودعُ أوْ تُقَــــامُ
وَلَمْ يَعْــرِف بَنُــو الــدُّنْيَــا هَنَــاءً
يُــرَاوِدُهُــم، وَلَمْ يَهْبِـط سَــلاَمُ !
وَقَــالُــوا : العِلْـمُ قُلْتُ أجَـل وَلَكِن
سِيَــاجُ العِلْـم أخْــلاَقٌ كِــرَامُ
فَمَــا تُجْــدِي الحَضَــارَةُ صَــانِعِيهَــا
إذَا هَــدَمَـت قُــوَاهَــا مَــا أقَــامُــوا
وَلاَ تُجْــدِي العُلُــومُ شُعُــوبَ أرْضٍ
إذَا اقْتَتَلُــوا بِعِلْمِهِمُــو وَهَــامُــوا
مَــــلاَيِينُ الشُعُــــوبِ مُشَــــرَّدَاتٌ
تَعُجُّ بِهَــا المَــــلاَجِيء وَالخِيَــامُ
وَتَنْطَلِـقُ المَــــرَاكِـبُ فِي جُنُــــونٍ
إلَى الأجْــــوَاء يَــرْهَبُهَــا الغَمَــامُ

لِتَحْمِلَ لِلْكَـــــوَاكِبِ كُلَّ شَـــــرٍ
عَلَيْـــهِ فَـــوْقَ كَـــوْكَبِنَـــا ازْدِحَـــامُ
كَأنَّ الأرْضَ ضَـــــاقَتْ عَنْ بَنِيهَـــــا
وَسَـــادَ العَـــدْلُ فِيهَـــا وَالنِظَـــامُ !
وَعَـمَّ الأمْـنُ وَانْطَفَـأتْ حُـــــــرُوبٌ
وَعَـــادَ لِغَمْـــدِ عَنْتَـــرِهَـــا الحُسَـــامُ !

* ● *

فَيَـــــادُنْيَـــــا الحَضَـــــارَةِ لَسْتِ إلاَّ
نَعِيمـــاً طَعْمُـــهُ المَـــوْتُ الـــزُّؤامُ
وَلَسْتِ سِـــوَى سَـــرَابٍ فِي رِمَـــالٍ
وَمَعْـــرَكَـــةٍ نِهَـــايَتُهَـــا انْهِـــزَامُ
وَبَـــــرْقُـكِ خُلَّبٌ لاَغَيْـثَ فِيـــــهِ
وَنُـــورُكِ فِي مَـــوَاكِبِنَـــا ظَـــلاَمُ
جِـــرَاحُ بَنِيـكِ تَنْـــزِفُ كُـلَّ يَـــوْمٍ
يُعَـــرْبِـــدُ فِي مَصَـــارِعِهَـــا الحِمَـــامُ
عُـــرَاةٌ لاَيُـــدَثِّـــرهُم كِسَـــاءٌ
جِيَـــاعٌ لاَيُتَـــاحُ لَهُـمْ طَعَـــامُ
يَعِيشُ مُعَـــذَّبُـــوكِ بِـــلاَ غَـــذَاء
وَيَقْتُـلُ مُتْخَمِيـكِ الإلْتِهَـــــــامُ !

وَتَنْتَفِخُ الجُيُـــوبُ بِـــلاَ جُهُـــودٍ
لَتَنْسَحِقَ السَّـــوَاعِـــدُ وَالعِظَـــامُ !
وَلَيْسَ لأُمَّـــةٍ تَـــرْجُـــو نُهُـــوضـــاً
إذَا فَسَـــدَتْ ضَمَـــائِرُهَـــا – قِيَـــامُ !
يُقَتَّلُ فَـــوْقَ أرْضِـهِمُـــو بَنُـــوهَـــا
وَمَنْ صَنَعُـــوا حَضَـــارَتَهَـــا نِيَـــامُ !
وَيَبْكِي خَلْـفَ أمْـــوَاجِ الضَحَـــايَـــا
بِـــدَمْعِ الفَـــاجِـــرَاتِ العَمُّ سَـــامُ !
حَيَـــــاةٌ كُلُهَـــــا قَلَـقٌ وَرُعْـبٌ
وَمَأسَـــــاةٌ وَلَيْسَ لَهَـــا خِتَـــامُ
لُهَـــــاثٌ لاَيُمَلُّ وَرَاءَ مَـــــالٍ
بِـــهِ جُنُّـــوا وَحَـــوْلَ دُمَـــاهُ حَـــامُـــوا
كَأنَّـكِ مُـــومِسٌ شَـــوْهَـــاءُ يُخْفِي
مَعَـــايِبَهَـــا عَنِ النَّـــاسِ اللِثَـــامُ !
مَسَـــاوٍ لاَتَـــرَاهَـــا عَيْنُ صَـبٍ
بِلَيْـــــلاَهُ مُعَنـىً مُسْتَهَـــــامُ
أحَـــالَـت وَجْهَهَـــا الـــوَضَّـــاء وَجْهـــاً
يُجَلِّـلُ حُسْنَ طَلْعَتِـــــهِ قَتَـــــامُ
سَيُخْطِئُ مَـنْ يَـــرَاكِ بِغَيْـــرِ عَيْنِي
وَيَفْعَـلُ مِثْلَمَـــا فَعَـلَ النَّعَـــامُ !

إذَا مَـــا اختَـــرْتُ عَنْ عِلْمٍ بَـــدِيـــلاً
فَإنَّ بَـــدِيلَـــهُ عِنْـــدِي السَّـــلاَمُ
وَحَسْبِـــي أنْ يَعُـــمَّ الأرْضَ حُـــبٌّ
وَيَجْمَـعَ كُـلَّ أهْلِيهَـــــــا وِئَامُ

* ● *

فَيَـــالِحَضَـــارَةٍ شَقِيت بَنُـــوهَـــا
وَلَمْ يَسْعَـــد بِطَلْعَتِهَـــا نِظَـــامُ !
مَصِيـــرُ الكَـــوْنِ فِي لَمَسَـــاتِ زِرٍ
وَقَـــدْ يَأتِـي إذَا انْفَلَتَ الصِمَـــامُ !
مَفَـــاعِلُ بِـــالـــدّمَـــارِ مُعَبَّـــئَاتٌ
يُهَـــدِدُهَـــا انصِهَـــارٌ وَاحْتِـــدَامُ
وَمِلْءُ البَحْـــرِ تَخْتَـــالُ المَنَـــايَـــا
لِتَنْسِفَنَـــــا إذَا حُـمَّ اصْطِـــدَامُ
عَفَـــارِيتٌ مُسَخَّـــرَةٌ لِيَـــوْمٍ
يُجِـنُّ العَقْلُ فِيـــهِ أوْ يَنَـــامُ !
وَمِـنْ خَطَإِ الطَّبِيـبِ يَمُـــوتُ شَيْـخٌ
وَمِنْ إهْمَـــالِـــهِ يَقْضِي غُـــلاَمُ

* ● *

مَضَتْ فِـي الـــذَّاهِبِيـنَ وَلَمْ تُعَمَّـــــر

حَضَـــــارَاتٌ وَلَـمْ يَطـلُ المُقَـــــامُ

تَفَشَّى المَسـخُ فِيهَـــا وَاسْتَبَـــاحَت

مَحَـــارِمَهَـــا وَوَجَّهَهَـــا الطغَـــام

فَتِلْكَ بُيُـــوتُهم أمْسَـتْ خَـــرَابـــاً

وَمَـــا شَـــادُوهُ مِنْ مَجْـــدٍ حُطَـــامُ !

كَأنَّ لَـمْ تُـــذْبَحِ الأخْـــلاَقُ فِيهَـــا

وَلَمْ يُسْفَـحَ بِحَـــانَـــاتٍ مُـــدَامُ !

وَلَـمْ يُسْلَب ضَعِيـفٌ مِـنْ حُقُـــوقٍ

وَلَمْ يُنْهَـب بِهَـــا مَـــالٌ حَـــرَامُ !

وَلِلشَّهَـــوَاتِ إنْ تُـــرِكَت جِمَـــاحٌ

كَخَيْـل لاَيُـــوجِهُهَـــا لِجَـــامُ

تَقُـــومُ حَضَـــارَةٌ وَتَـــزُولُ أُخْـــرَى

وَلَيْسَ لِفَـــاسِـــدٍ مِنْهَـــا دَوَامُ !